ندوة العلماء
سوانح
٥٧٦٦
١١٨١١٢

سِيَر إسلامية

٢

أحمد بن عرفان

الإمام المجاهد الشهيد

١٢٠١ - ١٢٤٦ هـ

١٧٨٦ - ١٨٣١ م

سعيد الأعظمي الندوي

الطبعة الثانية

١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م

حقوق إعادة الطبع والنشر محفوظة

دار القلم
دمشق - بيروت

دمشق حلبوني - ص.ب ٤٥٢٣ - هاتف ٢٢٩١٧٧

سوانح ٥٢٦٦
١١٨١١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ الكبير
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :
فيسرني ويسعدني أن أكتب سطوراً في تقديم رسالة الأخ العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي ، وموضوع الكتاب ومؤلفه كلاهما حبيبان إلى كاتب هذه السطور ، لذلك أشعر بسرور وارتياح حين أسطر هذه السطور .

لقد أتى على العالم العربي حين من الدهر ، وهو

لا يعرف شيئاً عن كبرى حركات الاصلاح والتجديد والجهـــاد في القرن الثالث عشر الهجري وعن قائدها وزعيمها الامـام الشهيد السيد أحمـد بن عرفان ، وكل ما كان يعرفه كان ناقصاً مملوءاً بأوهام وأغاليط وشائعات وأراجيف ، جاءت في كتب المؤرخين الانجليز المغـرضين ، وقد تورط فيهـا بعض المؤلفين المعروفين كالدكتور أحمد أمين وبعض العلماء المخلصين الذين كتبوا وألفوا في التعريف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته ، وكان كثير من الكتاب تلتبس عليهم الأمور لقلة اطلاعهم على تاريخ الهنـد الديني والاصلاحي ، فيخلطون بـين رائد الاصلاح والجهاد السـيد أحمد بن عرفان الحسـني البرياوي ، وبين رائد التعليم العصري وحامل راية التجدد والتغرب السيد أحمد بن المتقي الدهلوي المعروف بسيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكراه الاسلامية ، حتى اضطر أمير البيان الأمير شكيب أرسلان إلى الإشارة إلى ذلك في حواشيه القيمة على حاضر العالم الاسلامي .

وكانت أول رسالة ظهرت في العربية للتعريف لهذا الامام الجليل ودوره الاصلاحي القيادي هي رسالة صغيرة لكاتب هذه السطور عنوانها « السيد الامام أحمد ابن عرفان الشهيد » نشرها العلامة السيد رشيد رضا في مجلة المنار الغراء سنة ١٣٥٠ هـ ، ثم أفردها بالطبع في رسالة صغيرة ، وكان عمر مؤلف هذه الرسالة لايزيد يومئذ على خمسة عشر عاماً ، فكانت محاولة بدائية لكاتب حديث السن قليل المعرفة لهذا الموضوع الجليل ، ثم جاءت الكتب والمؤلفات تترى ، وعالج الموضوع كبار الكتاب والمؤلفين في شبه القارة الهندية ، وظهرت كتب هي أشبه بالموسوعة في هذا الموضوع . ولكنها كلها في « أردو » لغة مسلمي الهند في القارة الهندية . وجزى الله كاتب العربية الكبير الأديب الضليع الأستاذ علي الطنطاوي عن جميع المحبين لهذه الحركة المباركة ورواد الحق والانصاف في العالم العربي ؛ فقد كتب أول بحث في التعريف بهذا الامام الكبير وتأثيره في

المجتمع الهندي الاسلامي ومآثره الجليلة ومواقفه الحاسمة ، وقد تعب في جمع المعلومات والتقاطها من كتب التراجم ومقالات الكتاب ، وهو يستحق كل شكر وتقدير .

وفي هذه الفترة التي لم تحظ فيها المكتبة العربية الاسلامية بكتاب يؤلف في هذا الموضوع وفق أخونا العزيز الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي « رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامي » لكتابة مقالات في التعريف بالامام الشهيد السيد أحمد ـ عليه رحمة الله ـ نشرها في مجلته تباعاً ، وهي عرض إجمالي وتعريف موجز بهذا المصلح الكبير ، مثير للرغبة والتشوق لدراسة هذا التاريخ الغني بالبطولات الاسلامية ، والاصلاحات العميقة الأثر الواسعة المدى الطويلة الأمد ، يفتح المجال لدراسة أعمق وكتابة أوسع وتتبع أكثر دقة وأكثر اتساعاً .

وهذا الكتاب الصغير الذي بين يدي القراء يقدم حلقة مفقودة أو مجهولة من حلقات الاصلاح والتجديد

في وطننا الاسلامي الكبير ويبعث الرغبة في دراسة هذا الموضوع في إطار أوسع وبهمة أرفع ، فله شكر القراء الذين لم يقرأوا شيئاً عن هذا التاريخ الجميل الزاهي ، وله شكر العاملين في مجال التربية والتعليم والشباب المسلمين المثقفين .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

١٧ شعبان ١٣٩٤ هـ

(١)

القرن الثالث عشر الهجري ، أحرج فترة وأدقها في تاريخ الاسلام والمسلمين في الهند ، عندما كان سلطان المسلمين السياسي يلفظ نفسه الأخير ، وكاد يأفل نجمهم الذي تألق في هذه الديار إلى ألف عام تباعاً ، ووجدت التقاليد السيئة والمحدثات من الأمور مرتعاً خصباً في المجتمع الاسلامي ، وبسط الشرك نفوذه في قلوب الناس ، وعادت الجاهلية إلى رؤوسهم فباضت وفرخت ، فلم يبق فرق بين الحلال والحرام، ولم تعد لشعائر الاسلام قيمة ، وأصبحت العقيدة الاسلامية عبارة عن عبادة القبور وزيارة الضرائح .

لقد كان الوضع سيئاً إلى حد كبير ، وتكاد تندرس معالم الاسلام في الهند ، وينجرف الشعب المسلم في سيل الشرك والضلال ؛ ولولا جهود بعض العلماء الكبار وأولي الغيرة والحمية من رجال العلم والفضل لم تقم في وجه هذا

السيل الجارف قائمة ، وهي جهود لا ينساها تاريخ المسلمين في هذه البلاد ، ولا يتجاهل عنها المسلمون في أي حال من الأحوال .

في مثل هذه الظروف القائمة والأحوال المظلمة قام رجل من رجال العلم والصلاح ، رجل أعزل من كل سلاح مادي ، لكنه متسلح بسلاح الإيمان الذي لا سلاح فوقه ، وخاض وسط الأمواج المتلاطمة في خضم الشرك والنفاق والبدع والمنكرات ، فقلب الوضع السيء ، وشحن القلوب بحرارة الإيمان ، وأشعل النفوس بعاطفة الثورة على الأوضاع ، وألهب الطباع الجامدة بشعلة الجهاد ، وبدل الأرض غير الأرض .

إنه الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد الذي نهض بحركة تجديد الدين برفقة الشيخ اسماعيل الشهيد ، وذلك في حين كانت البنجاب كلها تحت حكم « السيخ » ، وكان الانجليز يحكمون في الهند ، يبطلون شعائر الاسلام ، ويثيرون على الاسلام شبهات ، ويتبعون سياسة توزيع الشعب المسلم في فرق شتى ، وجماعات متناحرة ليفنى كيانهم الشخصي بدون إثارة حروب طاحنة ومعارك دامية .

هذا ، وكان المسلمون يجتازون مرحلة دقيقة في حياتهم ، فقد فشا فيهم الإفلاس الديني ، والفقر الخلقي فشواً لم ينته إلى حد ، وأصاب المجتمع الاسلامي داء عضال تكاد تكون فيه نهايته ، انتشر الفسق والفجور والمعاصي حتى صـــار جزء المجتمع الكبير ، فكان الناس يتسابقون في ارتكاب المعاصي ، ويتبجحون بالوثنية التي التصقت وأحاطت بهم من كل جانب ، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وعم فيه استعمال الخمر والمسكرات جهاراً ، فأدى ذلك إلى تفسخ خلقي عظيم ، وظهر كل مالم يكن يرجى من شعب مسلم يؤمن بكلمة الاسلام والقرآن ، وتجرد المسلمون من خصائص الأمم الحية والشعوب الفاتحة بتاتاً ، وانتشرت المومسات في المجتمع بصورة عامة ، فكان الناس ـ الأغنياء منهم والفقراء على السواء ـ لايرون بأساً في الزنى والحرام ، كأنهم سكارى ، خالعون ملابس الاحتشام والزينة ، عراة أمام الملأ بدون حياء ولاغـــيرة ، كل مشتغل باقتراف المعاصي والجرائم الخلقية ، لايهمه دين ولاخلق ، وإنما الحياة كلها هزل ولهو ، والعيش عيش البهائم والأنعام التي لاهم لها إلا إشباع شهوة

البطن والفرج ، لقد بلـــغ المسلمون في انحطاطهم الديني والخلقي إلى حد جلب لهم شقاء طويلًا ، لايزالون يذوقون مرارته إلى الآن .

أما من الناحية السياسية فقد انحط فيها المسلمون وبلغ بهم الضعف إلى اضطراب الرأي ، وانهيار الأعصاب ، وفقدان الثقة بالنفس ، فلم تعد لهم ذاتية الحكم والسياسة التي كانوا ينفردون فيها عن غيرهم ، ولم يبق لهم قائد ولا زعيم يجمعهم تحت راية من العز والسيادة ويدعـوهم إلى الاعتزاز بالدين والافتخار بنعمة الإيمان والعلم التي يتمتعون بها ، وثارت عشرات من الفتن بين جماعة المسلمين الضعفاء ، فعاشوا أذلاء صاغرين يحكمهم « المرهتة » من دهـــلي إلى دكن ، و « السيخ » من البنجاب إلى ثغور أفغانستان ، والانجليز على الحدود الساحلية ، وكلهم عرفوا بعدائهم السافر للاسلام والمسلمين ، ومحاولاتهم الكريهة لتشوية وجه التاريخ .

إن هذه الأوضـــاع السيئة لم تكن تسمح للتاريخ الاسلامي أن يمتد ويزدهر ، بل وكادت تقضي عليه وتسد في وجهه الطريق ، ولكن الحكمة الإلهية شاءت بقاء الاسلام في ديار الهند ،

وازدهار العقيدة الاســـلامية في ربوعها ، فقيض الله الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد لهذه المهمة وفتح هذه البلاد روحياً .

وقام السيد أحمد الشهيد بحركة إسلامية كبرى في القرن الثالث عشر الهجري ، وهي حركة أصيلة تعمقت جذورها إلى الأعماق ، فازدهرت ونالت قبولاً وإعجاباً ، وأحيت القلوب الميتة بتأثيرها القوي ، كما أيقظت النفوس الجامدة بواقعها الحي وحقيقتها العظيمة .

وجاءت هذه الحركة في أوانها ؛ إذ لو تأخرت قليلاً لكانت الدعوة الاسلامية في هذه الديار قد أصيبت بشلل لم يمكنها من القيام مـــرة أخرى ، ولم تجد لها من الأنصار والأعوان من يسيرونها . ظهرت هذه الحركة في حين نالت لها فيه من جماعة المسلمين أنصاراً يؤازرون في تقديمها إلى الأمام ، ويتفانون في تحقيق الغاية التي قامت لأجلها .

ولم تكن هذه الحركة محدودة النطاق ، بل كانت أول حركة ثورية قامت ضد الجرائم الخلقية والاستعمارية على مبدأ تأسيس الحكم الاسلامي والخلافة الاسلامية في

الأرض ، وكانت محاولة عملية لإقامة دولة الاسلام بعد قرون طويلة .

ولكي نفهم هذه الحركة جيداً ، ونطلع على غايتها التي توخاها السيد أحمد الشهيد وراءها ؛ يجب أن ندرس حياته ونعرف شخصيته ، والجو الذي عاش فيه .

ولد السيد أحمد بن عرفان الشهيد في صفر سنة ١٢٠١ هـ في قرية من قرى رأي بريلي تعرف الآن باسم « تكية » ، وينتمي نسبه إلى سيدنا الامام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وقد هاجر جده الأعلى السيد قطب الدين محمد الحسني من غزنة إلى الهند ، برفقة من أصحابه وأتباعه سنة ٦٠٧ هـ أيام السلطان قطب الدين أيبك والسلطان شمس الدين الألتمش ، فنال حفاوة بالغة من السلطانين للذين أكرماه وجماعته غاية الإكرام .

ولما استقر به العيش في دهلي توجه إلى شرقي الهند تحقيقاً للغاية التي هجر الوطن من أجلها ، ووصل إلى قرية « كوا » من أعمال « إله آباد » وقد كانت عاصمة حكومة

مستقلة آنذاك ، فحمل عليها وفتحها وما والاها من المدن والقرى ، ثم ضمها إلى الدولة الاسلامية واستوطنها كرمز لجهاده وانتصاره الباهر الذي أحرزه .

وعندما بلغ السيد أحمد الشهيد الرابعة من عمره دخل الكتّاب وتعلم العلوم الابتدائية ، وأقبل على الألعاب الرياضية يتمرن فيها على الطعان والجلاد ، ولما بلغ أشده نشأ فيه دافع خدمة الخلق وإعانتهم ، فكان يدخل على الضعفاء والفقراء ويسألهم عن حوائجهم ليسدها ، وله في ذلك حكايات غريبة ، تثير الاستغراب والدهش .

وقد سبق في شغفه بالعبادة والذكر والنوافل كثيراً من النسّاك والمتعبدين - وهو في هذه السن - فكان يحيي الليالي في النوافل والذكر ، ويقضي النهار في خدمة الناس وتلاوة القرآن والدعاء والمناجاة مع الله ، ويتلو القرآن بتدبر ودراسة عميقة .

أرادت الحكمة الإلهية أن ينشأ السيد أحمد الشهيد جندياً محارباً في جبهة الاسلام مجاهداً في سبيل الله ، فهيأ

له وسائل المران على الجندية ، والفنون العسكرية لأن الجهاد لايحتاج إلى عواطف القلب فقط بل وحاجته إلى قوة اليد ، والمعرفة بفنون الحرب لاتقل عن الأولى ، فكان من عادة السيد اليومية أن يشتغل بالرياضة الجسمية ساعات ، يتمرن فيها على طرق متعددة من الرياضات ، كالرماية ، والمصارعة وحمل الأثقال ، والجري والسباحة وما إلى ذلك .

وهكذا كان دأبه كل يوم يملأ نفسه حماسة وشجاعة ، ويشحن جسمه قوة ونشاطاً ، وكان يشعر بميل شديد نحو الجهاد وحنين غريب إلى الاسهام فيه بأسرع مايمكن ، وذات مرة نشب صراع بين المسلمين والهنادك في قرية مجاورة لرأي بريلي ، فقام يستأذن أمه للجهاد والقتال تحت راية الاسلام ، فأذنت له بذلك ، ولكنه ما إن وصل إلى تلك القرية حتى انتهت الحرب .

ولما شب السيد أحمد الشهيد وجد نفسه وحيداً بين أسرته ، وقد توفي والده من قبل ، فاضطر بحكم الظروف إلى أن يفكر في سبيل المعاش ليهيء له بذلك كفاف

العيش ، وقوت الأسرة ، وسافر برفقة جماعة من أقربائه إلى لكهنؤ ؛ علّه يجد هناك شغلاً أو وظيفة يسد به الحاجة ويدفع به الأذى عن نفسه وعن أسرته ، وتجشّم في هذا السبيل من المشاق ماالله به عليم ، وظهرت على يديه في هذا السفر من الخوارق والكرامات ما يؤكد بلوغه إلى أعلى درجة من صفاء الروح وزكاة النفس ، وينبىء بإعراضه عن الدنيا وزخارفها والإقبال على الآخرة بقلب سليم .

وساقه القدر في هذه الرحلة إلى دهلي ، حيث أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي التي كانت منارة نور في الظلام ، ومرجع العلماء ، ومركز العلوم والمعارف ، يقصده العلماء والطلبة من أنحاء البلاد ومن الخارج ، فوصل الإمام السيد أحمد الشهيد إلى الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ، فلما علم به الشيخ عبد العزيز أنه من أسرة علماء السادة في رأي بريلي - وكانت الوشائج العلمية تربطهم بأسرة الشيخ ولي الله - أقبل على السيد أحمد ، واحتفى به وبالغ في إكرامه ، وبدأ السيد يستفيد من الشيخ عبد العزيز وشقيقه

الشيخ عبد القادر ، وأخيراً بايع السيد أحمد الشيخ عبد العزيز ، واكتسب العلوم الروحانية والنفحات القدسية ، وقام بمجاهدات ورياضات استطاع بها في مدة قليلة أن يحرز مكانة عالية في العلوم الباطنية والروحانية .

ومما يرويه التاريخ أن الشيخ عبد العزيز علمه مصطلح « تصور الشيخ » ضمن تعليمه مراحل السلوك الأخرى ، فأبى ذلك السيد وقال : إنني أشم في ذلك رائحة الشرك ، ولكن الشيخ عبد العزيز أنكر عليه ذلك ، غير أن السيد أصر على موقفه ولم يقتنع « بتصور الشيخ » في حال ما ، وقال : إذا قدّم لي الشيخ سنداً لهذا المصطلح من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ساغ لي أن أقبله وأعمل به ، وما إن سمع ذلك الشيخ عبد العزيز من كلام السيد أحمد حتى احتضنه وقبّله من شدة الفرح ، وبشره بولاية الأنبياء . فسأله السيد أحمد شرح هذه الولاية ومفهومها ، وهنالك انبسط الشيخ للكلام وقال :

« إن الولاية المطلقة هي أن يخص الله عبداً من عباده

بقربه ، وعلامة هذا القرب أن يخالط حب الله ورسوله بشاشة قلبه وأعماق نفسه ، بشكل لايرى في الدنيا وزخارفها مايسر قلبه وتبتهج به نفسه ، ويمحو حب الأهل والأولاد والمنصب والمال عن قلبه ، فيطلب قرب الله ورضاه على الدوام ويشتغل بهذا الطلب إلى حد يرميه الناس بالجنون .

وقد سأل رجل من تبع التابعين سفيان الثوري عن نسبة إيمان التبع إزاء إيمان الصحابة فقال : لو كنت تراهم لظننتهم مجانين ، ولو أنهم رأوك حسبوك منافقاً وكافراً ، ولما رأوا فيك مايبرر ردّ سلامك منهم ، وهكذا فإن صاحب الولاية ينهمك في المجاهدات من الصيام والصلوات وكثرة النوافل وخدمة الخلق ، ولا يتعرض للجاهلين والفاسقين ، عاملاً بالآية « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » وأحب شيء لديه العزلة ، والعمل بإشارة النص ، وتأويل القرآن أو مصطلح الصوفية ، ويسمى هذا العمل « بقرب النوافل » .

أما ولاية الأنبياء فإن حب الله يرسخ في قلب صاحبها وينزل إلى أعماقه ، حتى إنه يحب الإيثار والتضحية الذي تشير

إليه الآية « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وأخلاق الأنبياء الذين قال الله عنهم : « وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » وفسر أخلاقهم بقوله : « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » .

كل ذلك يتمثل في صورته وسيرته ، ويقضي على جميع الرذائل والشرور الظاهرة منها والباطنة ، وهو الذي يشتغل بهداية الخلق وإصلاح الفساق والمجرمين ، وإقامة حدود الله وفرائضه وإحياء سنن الأنبياء والمرسلين ، والجهاد لأعداء الله والمسلمين ، وتأديب الأشرار والمذنبين ، ويعيش في هم خدمة الاسلام فلا يقصر عن الوعظ والإرشاد في محافل المسلمين ومجالسهم ولو لم يقبل الناس على كلامه ، ويسمى هذا الطريق في مصطلح الصوفية « بقرب الفرائض » ،

ويعمل أصحابها بعبارة النص وتنزيل القرآن في أغلب الأحوال، وهذه المنزلة هي أعلى منازل الولاية ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وبقي السيد أحمد يشتغل بالمجاهدات ويتعلم العلوم الظاهرة والباطنة ، ويقضي جل وقته في صحبة المفسرين والمحدثين والفقهاء من علماء هذه الأسرة ، التي كانت تجمع فيها في وقت واحد أئمة العلماء وأجلة الفقهاء ـ وهي أسرة شيخ الاسلام ولي الله الدهلوي ـ وانتهز السيد فرصة وجوده بين هذه الأسرة العلمية فدرس القرآن بتدبر عميق وفقه بالغ .

وفي مدة قليلة بلغ السيد أحمد إلى درجة عليا من الإحسان ، واجتاز مراحل السلوك الوعرة بسرعة وسهولة ، ولقي من الله تقرباً ومعرفة قلما يوجد له نظير في تاريخ العلماء الربانيين والعارفين .

وعاد السيد إلى وطنه « رأي بريلي » وأقام فيه نحو عامين ، ولكن لم ترق له الإقامة في الوطن ، وسافر إلى دهلي مرة أخرى ، فقوبل بحفاوة بالغة وقبول عظيم ،

وأقبل عليه الخلق للاستفادة والمبايعة ، غير أنـه لم يرض بذلك كل الرضى ، ووجد في نفسه حنيناً نحو الجهاد ، فزار نواب أمير خان (حاكم ولاية تونك في الأخير) وقد كانت بينه وبين الإنجليز وبعض الأقيال معارك في أواسط الهند ، فأبدى له استعداده للجهـاد ضدهم وتربية الجيش ، فأقام في جيش أمير خان أكثر من ست سنين ، يربي الجيش ويدربه على الجهاد والقتال ، ويشير على الأمير بتدابير الحرب ومصالح القتال ، وكاد يقضي على حكم الإنجليز ويطردهم من البلاد ؛ إذ حدث مايبعث الحزن ويثير الشجون ، ووقعت بين أمير خان والإنجليز مصالحة بالرغم من تحذير السيد أحمد ، وفي النهاية تم احتلال الإنجليز للولاية وسيطرتهم على الحكم .

قام السيد في هـــذه الفترة التي قضاها في الجيش برياضات وتمرينات روحية وجسمية ، إذ كان يقضي نهاره في تربية الجيش وتدريب العسكر والاستعداد للقتال ، وليله في العبادة والإنابة حتى كانت تتورم قـدماه ، ولكنه لم يكن يبالي بذلك شيئاً ، ولم يكن يتغافل عن هدفه وغايته لحـة واحدة .

ورجع السيد إلى دهلي تاركاً أمير خان وجيشه ، بالغاً من الولاية والروحانيـة منزلة عليا ، محرزاً الآداب الإلهية والنفحات القدسية . وصار وجـوده في دهلي الآن بمثابة مركز عظيم يأوي إليه الناس ، ويلتفون حوله لاكتساب قبسة من علومه ومعارفه ، وقد حضره هذه المرة الشيـخ اسماعيل الشهيد والشيخ عبد الحي وطلبا منه المبايعة ، فبايعهما ولازماه مدة من الزمان ، وبخاصة الشيخ اسماعيل الشهيد فإنه لم يفارقه حتى آخر لحظة من حياته ، وقـد توثقت بينهما محبة خالصة مصدرها الإيمان ، ومنبعه الحب الإلهي ، فقاما في سبيل إعـلاء كلمة الله ، واستنفدا كل جهودهما وإمكانيتهما ، ولولا بعض المبكيات المحزنات التي وقعت في الأخير لكانت راية الاسلام خفاقة في هذه البلاد ، وارتفع فيها مناره عالياً للأبد .

— ٢ —

ورجع السيد إلى وطنه متجولاً في مدن كثيرة ، ومتفقداً أحوال الناس وأوضاع المسلمين فيها ، وقد ترك تأثيراً

عميقاً في كل مدينة أو قرية أقام فيها لعدة أيام ، إذ كان إقبال الناس عليه متزايداً ، يثير الاستغراب ويبعث الأمل ، وانتهز هذه الفرصة السانحة لتوجيه الناس إلى تعاليم الدين وتنفيرهم من المبتدعات والوثنية التي وقرت في نفوسهم ، وتكاد تحتل محل شعارهم الديني .

(لقد مر الإمام السيد أحمد الشهيد وهو في طريقه إلى الوطن على مدينة سهارنفور ، ومظفرنكر ، وديوبند ، ونانوتة ، وكاندهلة ، ورام فور ، وبريلي ، وشاهجهانفور ، إلى غير ذلك من المدن والقرى) فكان مطراً نزل من السماء بعد طول الانتظار وبُعد المزار ، واستبشر الناس بالخصب والرخاء بعد الجدب والبلاء ، والتفوا حوله كأنهم كانوا منه على ميعاد ، فأخذهم السيد بالتوجيه والإرشاد ، ودعاهم إلى ترك البدع التي التصقت بهم ، ونبذ آلهة القبور والمنكرات التي استولت عليهم ، فكان لدعوته تأثير أي تأثير ، غصت المساجد المقفرة بالمصلين ، وارتجت الأجواء بكلام الله والرسول ، وعلت الوجوه نضرة الإيمان ، والقلوب

بشاشة الحب ، وأعقب هذا الخصب الروحي الخصب المادي أيضاً فكل قرية زارها السيد تضاعف الانتاج فيها ، وتزايدت حاصلات الثمار والنبات والحبوب ، وأخذت الأرض زخرفها وازينت ، وغشيها من بركاته ما أدهش الناس .

[يتحدث العلامة عبد الحي صاحب « نزهة الخواطر » رواية عن الشيخ محمد حسين ـ أحـــد أتباع السيد وشيوخ سهارنفور ـ يقول :

« كل مكان خطا إليه السيد أحمد ازدهر من نفحاته الروحية و نفثاته القدسية ، وقد توجه السيد أحمد إلى قرية للمسلمين فمر في طريقه على قرية لحديثي العهد بالاسلام الذين طلبوا منه أن يمكث لديهم ساعة ، وقبل السيد دعوتهم فأقام عندهم ، ولم تسمح له الظروف أن يزور قرية المسلمين ، فكان من أثر ذلك أن قرية حديثي العهد بالاسلام التي أقام فيها الشيخ لاتزال مزدهرة ، مخصبة ، أما قرية المسلمين التي لم يزرها فهي مقفرة موحشة إلى الآن ».]

أقام السيد في وطنه وحثه الآن دافع الجهاد على التمرين

على الفنون الحربية والاستعداد له أكثر مما مضى ، وذلك بدون أن يقصر في مجاهداته الروحية وعباداته ، وقد كان شغفه بالجهاد منذ صغره ولكن تزايد هـذا الشغف واشتد أواره الآن ، وكاد لايصبر على البقاء في الوطن حينما سمع بقصة اضطهاد مسلمي « بنجاب » وعلم أن « السيخ » ينالونهم بالأذى والظلم وهتك الحرمات ، ولايتركونهم ليعيشوا في وطنهم سالمين آمنين .

قد أقلقت هذه الفكرة السيد أحمد الشهيد ، وصارت منه كجزء لايفارقه ، فكانت تتمثل أمامه في كل حين ساحة الجهاد وتتراأى له المعارك الحاسمة ، يرى فيها صورة معارك الاسـلام في بدر وحنين ، وماكان يستيقظ وينام إلا على ذكرها والتفكير فيها ، وكلما رأى رجلا قوياً وشاباً نشيطاً يقول : « هذا ممن نريده لعملنا » .

ويحكى أن أربعة شباب من إحدى القرى جاؤوا لزيارته ـ وقد كان كلهم قوياً نشيطاً ـ فلما رآهم فرح بهم كثيراً وقال : إن حاجتنا إلى مثل هؤلاء الشباب أكثر من حاجتنا إلى الشيوخ ،

وأثرت كلمة السيد في قلوبهم ، فقالوا : نحن رجال فقراء لانستحق منكم هذا المدح ، فأجابهم السيد قائلاً: إن الله تعالى اختاركم لعمله .

ويروي التاريخ أن الله تعالى قبلهم ، فاستشهد ثلاثة منهم في أول حملة وقعت على « اكوره » وبقي واحد منهم ملازماً للسيد يخدمه ويخدم رجاله في الحل والترحال .

ولما اشتد اشتغال السيد أحمد بالتدريب على فنون الحرب والتمرين على أساليبها ، واستغرق ذلك جل وقته ، إلى أن وقع نقص في أمور العبادة والسلوك ، وكثرت في الناس قالة ، وتحدثوا فيما بينهم بذلك ، واستقر رأيهم على أن يتحدث مع الشيخ واحد منهم ويبين له ما يخطر ببالهم ، وما يلاحظونه من النقص وقلة النشاط في العبادة والسلوك ، فلما سمع السيد كلام الناس قال :

« نحن الآن في وجه عمل أفضل من السلوك ، وأجد قلبي مشغولاً بذلك ، وهو الاستعداد للجهاد في سبيل الله ، والجهاد لايعادله شيء مما تريدونه وتطلبونه ، فإن ذلك يعني اكتساب علم السلوك وهو تابع لهذا العمل الجليل ،

وإذا كان هناك رجل يصوم النهار ويقوم الليل إلى أن تتورم قدماه ، ورجل آخر يطلق البندقية ويتعلم فنون الحرب كي يقوم في وجه الكفار ويحاربهم في سبيل الله ، فلا شك أن الثاني أفضل من الأول ، ولايستطيع الأول أن يبلغ منزلة الثاني ، إذ يتقدم هذا العمل عمل الساوك ، وأما مانلمسه منذ أسبوعين من لذة غريبة وحلاوة في الصلاة والعبادة فذلك من أثر هذا العمل الجليل فقط »).

تركت كلمة السيد في قلوب الناس أثراً عميقاً ورأوا الخير كل الخير فيما يأمر به السيد ويريده ، فاطمأنت قلوبهم ، ورضيت نفوسهم ، وعلموا أن الإعداد للجهاد وقتال أعداء الله ـ لنشر دينه وتعميم دعوته ـ واجب الساعة ونداء الوقت . ورأى السيد أن الطريق ممهد للجهاد ، وأن المجاهدين مستعدون للإجابة ، ولكن الله ألقى في روعه أن يزور الحرمين قبل أن يخوض المعركة ، فيحج ويستمد من بركاتها روحاً جديدة وقوة ونشاطاً ، ويدعو الله تعالى وهو في بيته للتوفيق والنجاح . ساورته هذه الفكرة وأقلقت باله ، وعلم

أن ذلك من الله ، وأنه يدعوه إلى بيته ، فيجب أن يسرع في تلبية هذه الدعوة .

لقد ألهم الله السيد أحمد الشهيد بالحج والزيارة في عصر كان الناس قد نسوا الحج ووقعوا منه في غفلة ، وفي عصر لم يكن السفر إلى الحج ميسوراً ، لأن أخطار الطريق تحول دون ذلك ، فلم تكن الطرق آمنة ، ولم يكن هناك من السفن الضخمة والبواخر العظيمة مثل ما نشاهد اليوم ، بل وأنواع من المشكلات وصنوف من المشاق لم تكن تسمح للناس أن يغامروا بأنفسهم ، وكانت تعوق دون أمنيتهم هذه المباركة خطوة تلو خطوة .

ولكن السيد أحمد الشهيد حدا به الشوق إلى الحج ، والحنين إلى زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأعلن في الناس أنه يريد الحج فمن رأى أن يرافقه في هـذا السفر فليفعل ، وأتاح الله له هذه الفرصة التي كانت خطوة أولى للجهاد ومقدمة لتحمل المشاق والأذى في ساحة الحرب ؛ إذ أن هـذا السفر كان جهاداً بنفسه وتمهيداً لما سيلاقونه في المستقبل .

وانتشر نبأ الحج بسرعة مدهشة في طول البلاد وعرضها ، ولم تكد تمضي عدة أيام إذ بدأت وفود الحجيج تأتي إليه ، وتنهال الرسائل من كل جانب تسأل عن موعد الحج وتستأذن لأصحابها المرافقة في السفر ، حتى احتشد عدد كبير يرافق السيد في سفره الميمون ، وقد تحققت الأمنية والتهبت شعلة الحب والشوق ، ولم يصبر الناس على البقاء في ديارهم لمحة واحدة ، وكل سعيد بهذه الرحلة وكل مغتبط بهذه الصحبة .

وفي غرة شوال سنة ١٢٣٨ هـ بعد ماصلى السيد صلاة العيد مع الجماعة والوفد أعلن بداية رحلته الميمونة ، وخرج بأربع مئة نفر ، تاركاً أهله وقريته (تكية راي بريلي) إلى مكة والمدينة ، حيث يستمد من الله قوة وروحاً ، ويشحن نفسه بإيمان أقوى ونشاط أوفر .

ولكن هل وصل السيد أحمد الشهيد رأساً من الهند إلى الحجاز — كما هو المعروف اليوم — أو كانت له وقفات ومحطات كثيرة استغرقت مدة طويلة ؟ يجب أن نطلع على هذه الرحلة الميمونة التي تعد بحق من أعظم الرحلات وأجداها

في سبيل نشر الدعوة ، وتستحق الخلود في كل عصر ومصر ، وتجدر بأن تكون أسوة حسنة للدعاة ونموذجاً مثالياً للمسلمين في كل مكان .

توجه السيد أحمد الشهيد من قريته إلى « دلئو » التي تبعد عنها نحو ١٨ ميلاً حيث نهر « گنگا » وذلك كي يواصل منها سفره عن طريق السفن ، فلما وصل إلى « دلئو » وجد جماعة من الناس ينتظرون قدومه ، فانتهز فرصة التبليغ ، وأقام فيها مع جماعته عدة أيام يدعو الناس إلى التوحيد والإيمان ونبذ التقاليد والعادات السيئة والمبتدعات ، فكان لكلامه تأثير عميق في النفوس ؛ حتى دخل الناس - رجالاً ونساءً - في حظيرة الإيمان من جديد ، وتمكنوا من معرفة أوامر الدين وتعاليم الكتاب والسنة ، ومما قال في إحدى خطبه التي ألقاها أمام جمع حاشد من الناس في هذه القرية :

« إخوتي : أرجو الله تعالى أن يوفقني في هذه الرحلة إلى نشر دعوته وهداية آلاف من عباده عن طريقي ،

وتوبة آلاف منهم من الفسق والفجور ، والشرك والبدع ، والاطلاع على شعائر الدين ، واعتناق التوحيد ، وقبول أوامر الله .

لقد دعوت الله تعالى لأهل الهند أن يفتح لهم طريق الحرمين ، ويوفقهم لزيارتها ، فقد مات والله كثير من الأثرياء والأغنياء غير موفقين للحج ، وذلك لأن الشيطان استحوذ عليهم وقال لهم إن الطريق مليء بأخطار ومخاوف لاتدع الانسان أن يصل إلى بلاد الحرمين، فافتح يا إلهي طريقك لكل من ينوي الحج ، ويسر له هذه الرحلة ، وقد استجاب الله دعوتي ، وألهمني أنه يفتح الطريق بعد رجوعي ، فمن عاش بعدي سيرى كيف يتحقق وعد الله » .

وقد تحقق وعد الله ، وكان وعده مفعولاً ، فرأينا أن الطريق أمن منذ ذلك الوقت ولا يزال يزداد يسراً وسهولة إلى الآن .

ولم يزل السيد ينتقل من قرية إلى قرية ومن مدينة

إلى مدينة أخرى وهو في طريقه إلى البلاد المقدسة ، يحل ويرحل ، ويقيم ويسافر ويبلغ الناس دعوته ، ويعلمهم دين الله وسنة الرسول هو وصاحباه : مولانا محمد اسماعيل الشهيد ، ومولانا عبد الحي ، وقد طالت إقامتهم في بعض المدن قرابة أسبوعين ، وانتهزوا كل لمحة لتبليغ الدين ونشر دعوة الله .

مر هؤلاء الأئمة ، وقادة الدعوة الاسلامية إله آباد ، وبنارس ، وعظيم آباد ، وبها كلبور ، ومرشد آباد ، إلى أن وصلوا إلى « كلكتة » بعد ماقضوا في كل محطة وقتاً يعلمون الناس دينهم ويبلغونهم أوامر الله ، ويربون النفوس السعيدة ، ومن كل مكان حصل لهم عدد زيادة على العدد الذي خرجوا به .

أقام السيد مع جماعته ثلاثة أشهر في كلكتة ، ووفقه الله في هذه المدة اليسيرة لإنجاز عمل جليل يكاد يستحيل في مدة طويلة ، إذ نجح في إرشاد عدد ضخم من الناس إلى طريق الدين الصحيح ، وتمكن من إنقاذ آلاف الرجال

من ربقة الوثنية والشرك والمبتدعات وهدايتهم إلى التوحيد الخالص والإيمان الراسخ ، فكم من رجال تابوا من المحرمات والمنكرات ومن الخمـــر والميسر ، وكم منهم من أغلقوا حوانيت الخمر ، ونبذوا أواني الذهب والفضة ، وطلبوا من الحكومة توقيف كل عمل يخالف تعاليم الاسلام ، واستقال كثير من المسلمين من مناصب حكومية هامة كانوا يشغلونها احتجاجاً منهم .

ويروي لنا التاريخ أن عدد التائبين والمبايعين كل يوم بلغ إلى ألف نفس ، كما أن عدد من كانوا يعتنقون الاسلام كل يوم بلغ من عشرة إلى خمسة عشر رجلاً ، فكان السيد أحمد الشهيد وصاحباه ـ مولانا محمد اسماعيل الشهيد والشيخ عبد الحي ـ كلهم منهمكين في تبليغ الدين ، منتهزين الفرص لتبليغ دعوتهم ، حتى لم تبق لهم فرصة للاستراحة ولا للحة واحدة .))

ومن الطريف أن حوانيت الخمر أقفرت طوال هذه المدة ، حتى اضطر أصحابها إلى رفع الشكوى إلى الحكام ،

وقالوا : إنه منذ قدوم هذه الجماعة إلى المدينة لا يدخل رجل واحد الحوانيت ، ولم يبق من يشتري منا الخمر أو يشربها ، وقد جر ذلك إلى خسارة عظيمة فادحة في تجـــارتنا ، فطمأنهم الحكام بأن قالوا : « إن هذه الجماعة سوف تغادر المدينة إلى مدينة أخرى ، وسنجري البحث والتفتيش عن خسارتكم فإذا كان الأمر حقاً خففنا في الضريبة » .

ومكث السيد وجماعته في كلكتة ثلاثة أشهر ، قام خلالها بعمل في الهداية والإرشاد لم يكن يخطر على بال ، وكان له سلطان على القلوب والأرواح ، وقـامت له دولة أقـــوى من دولة الانجليز المادية ، إذ أتاح الله له فرصاً للإصلاح والإرشاد ، ، وتزايد عليه إقبال الجمهور بطريق أثار استغراب الجميع ، ودعاهم إلى أن يفكروا فيما كان يحمله السيد من عواطف نبيلة ودوافع قوية نحو خدمة الدين الاسلامي وتطهير القلوب والنفوس .

وتحققت « نبوءة » السيد أحمد الشهيد التي أبداها في إحدى خطبه وقال : « إنني أرجو الله أن يوفقني في هذه

الرحلة إلى نشر دعوته وهداية آلاف من عباده عن طريقي وتوبة آلاف منهم عن الفسق والمعاصي والشرك والبدع ، والاطلاع على شعـــائر الدين ، واعتناق التوحيد ، وقبول أوامر الله » .

وغادر السيد أحمد الشهيد « كلكتا » إلى الحجاز عن طريق البحر ، وودعه إلى الساحل خلق كبير لايحصيهم إلا الله ، وقد خلّف وراءه تأثيراً عميقاً لدعوته وإصلاحه ، وبدت على يديه من البركات والكرامات واللذات الروحية مالايدركه إلا من صحبه في هذا السفر أو رآه عن كثب .

وصادف مروره على موانىء كثيرة يقيم فيها أياماً ويؤدي واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل حرية وانشراح صدر ، وعندما وصل إلى « مينا نخا » رأى الرجال والنساء كلهم يغتسلون عراة بدون أي احتشام وبكل وقاحة ، وتلك عادة عرفوها وتوارثوها جيلاً بعد جيل ، واستنكر السيد هذه الوقاحة أشد الاستنكار ، واتصل بقاضي تلك المدينة وحاكمها ليتحدث معهما حول هذا الموضوع ، وحذّرهما مصير هـذا

إقامتكم ، ومكث السيد فيها شهراً حتى توقف هذا التقليد السيء بنفسه ، ولم يعد الناس لمثله بعد خروج السيد أيضاً .

ودخل السيد وجماعته ميناء جدة في شعبان سنة ١٢٣٧هـ وسعد بدخول الحرم يوم ٢٨ شعبان ، وحينما رأوا الكعبة بيت الله الحرام لم يملكوا أنفسهم ، وبكوا على نيل هذه السعادة التي لا تعادلها سعادة ، وشكروا الله على هذه النعمة ، وطوفوا وسعوا ، وخرجوا من الإحرام ، وهنأ بعضهم بعضاً ، وقضى المطوفون والخدم كلهم عجباً مما رأوه في هذه القافلة من البركة وسيما القبول ، حتى قالوا: **إننا لم نر في حياتنا مثل هذه الجماعة المباركة التي حلت اليوم .**

وأهل هلال رمضان ، فاستبشرت الجماعة خيراً ، وقضوا رمضان في بلد الله الحرام في العبادة والإنابة والذكر والتلاوة واعتكفوا في الحرم في العشر الأخير من رمضان ، وحضر الحج فحجوا حجاً مبروراً .

بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز أيضاً ، وأضاء قلوب أهلها بنور ذلك الإيمان الذي كان يحمله ، وحضره كبار علماء الحجاز ليبايعوه على الإخلاص والإيمان ، منهم : الشيخ محمد عمر مفتي مكة المكرمة ، والسيد عقيل ، والسيد حمزة ، والشيخ مصطفى إمام المصلى الحنفي ، والشيخ شمس الدين المصري الواعظ ببيت الله الحرام ، والشيخ محمد علي الهندي المدرس بمكة المكرمة ، والشيخ عمر بن عبد الرسول المحدث ، والشيخ بخاري المدرس بالمدينة المنورة ، والخواجه الماس ، وقد كان من كبار أولياء الله في المسجد النبوي .

ونهل العالم الاسلامي كله بهذه المناسبة من منهل السيد أحمد الشهيد إذ أن بركاته لم تنحصر في الحجاز ، وإنما تعدت إلى العالم الاسلامي كله بحكم كون الحجاز مركز العالم الاسلامي وموردة ، وخاصة في موسم الحج .

وبعدما زار السيد المدينة المنورة وزار سيد المرسلين

في كل حين ، فارتحل إلى الهند في ٢٩ ربيع الأول ١٢٣٨ هـ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، حيث قضى رمضان ، وودعها في غرة ذي القعدة ، وصادف وصوله إلى الوطن يوم ٢٩ شعبان ١٢٣٩ بعد ثلاث سنين إلا شهراً .

— ٣ —

[وقد آن للسيد أحمد الشهيد أن يحقق أمنية الجهاد التي راودته منذ نعومة أظفاره ، وينقذ المسلمين من براثن الذئاب الضواري فيخرجهم من شريعة الغابات إلى شريعة النور والعدالة والمساواة] وقد تفطن السيد أحمد بفراسته وإيمانه إلى أن الظروف القاسية والأوضاع السيئة التي يعيش فيها مسلمو الهند ـ ولاسيما مسلمي بنجاب ـ لاينقشع سحابها بدون أن تكون لهم سيطرة مستقلة وكلمة نافذة . إنه رأى أن الاسلام في هذه البلاد يعاني ضعفاً ويجتاز فترة اضمحلال شديد ، ولو لم يقم لإسعافه أولوا الغيرة والإيمان من المسلمين لكان للهند

ووقعت في شرك آلهة شتى ، شأنها في عهـــد الظلام والهمجية والكفر .

رأى الامام أحمد الشهيد بأم عينيه أن موجة الشرك والجهل والإلحاد تطغى على الأمة الاسلامية في الهنـد وفي العالم الاسلامي أجمع ، وشاهد البدع والخرافات تغزو عقول المسلمين ، وغربة الاسلام والعلماء لاتزال تتفاقم ، وتزيد الفجوة بين الحياة والإيمان ، وبين العلم والعمل ، إنه رأى أن الدين تداس حرمته ، وشعائر الاسلام تنتهك كرامتها ، وأن الانحطاط يتسرب إلى ديار الاسلام وحصونه ، (رأى الامام أحمـد الشهيد كل ذلك ، وعلم حقاً أن دواء هذا الداء ليس في الوعظ والإرشاد فحسب ، وأن مجالس الدرس وتزكية الباطن لاتغير في الوضع شيئاً ، وإنما كان يعتقد أجزم الاعتقاد ويؤمن أقوى الإيمان بأن الاسلام والمسلمين في حاجة إلى القوة ، تلك القوة التي تنبـع من الإيمان القوي

لقد كان يرى ان التشريع الاسلامي بما فيه من حدود وقوانين لاينفذ في الحياة العملية إلا بالحكومة والنظام الشرعي ، وأن المسلمين لايستطيعون أن ينعشوا من ضعفهم وينهضوا إلى مصاف الأمم ، ويثبتوا تفوق النظام الاسلامي وفضله على سائر النظم والمبادىء بدون أن تكون القوة والسيطرة بأيديهم ، وبذلك سيتغلب الاسلام ويبسط سلطانه ونفوذه في كل مكان ، ويتمكن المسلمون من العمل بالاسلام وجميع تعاليمه ، **فإن العمل بجزء كبير من الكتاب والسنة يتوقف على أن تكون للاسلام دولة مستقلة تقوم على أساس الشريعة والدين الحنيف .**

كما يتحدث بذلك أحد كتّابه في ساحة الجهاد ، وهو يترجم أفكار السيد أحمد الشهيد ، فيقول :

« إن بقاء الدين بالدولة ، وإن الأحكام الدينية والقوانين التي لها علاقة بالدولة لايمكن العمل بها إذا لم تكن للاسلام

وحرب : إذ تكون الإسلام في هذه الديار ليست له دولة مستقلة ».

علم القراء ـ فيما أسلفنا ـ أن السيد أحمد الشهيد كان دائم الاستعداد للجهاد ، يبعث في الناس روح الحماس الديني والقتال ضد أعداء الله ، وكان شديد الاهتمام بتأسيس دولة إسلامية لتكون كلمة الله هي العليا ، وترتفع راية الدين خفاقة عالية ، وتعود إلى المسلمين الثقة بشخصيتهم ، والاعتماد على قوتهم ، ولما رأى السيد أن « السيخ » يستعبدون المسلمين ويصبون عليهم من الظلم والقسوة والعذاب مايفتت القلوب ويفلق الأكباد ؛ عزم على الخروج في سبيل الله دون أن ينتظر الفرصة الأخرى ، وعين البنجاب مركز للجهاد للأسباب التالية :

١ ـ الانتصار لمسلمي البنجاب كان فريضة شرعية في في ذلك الحين على جميع مسلمي الهند ، والإهمال في ذلك يسبب لهم خسارة فادحة في النفس والمال .

٤ ـ قرب الشعوب والدول الاسلامية الحرة المستقلة .

لم يكن الامام أحمد الشهيد يتوخى من هذا الجهاد ولم يكن يطلب من ورائه إلا دعم أساس الدين وتوطيد دعامة الاسلام في هذه الديار . لقد كان يتمنى أن يرى المسلمين مبيضي الوجود فيها ، وتقرعينه بالحياة الاسلامية العزيزة ، بأن تعود إلى المسلمين كرامتهم وإلى الدين حرمته ، وتنهزم القوى الباطلة التي تألبت على الاسلام ورجاله ، وتجمعت لشن الغارة عليهم . إنه أراد أن يقضي على الجبهة المعادية ويثور على مراكز الكفر والفتنة والنفاق ، فلا تقوم لها قائمة ، وتكون نهايتها على يده ، حتى يرى الاسلام عزيزاً ومنتصراً ، والكفر مغلوباً ومنهزماً .

إن أعظم غاية استهدفها السيد أحمد في جهاده إنما هي الانتصار لدين الله واعلاء كلمته ونشر سنة النبي محمد ﷺ ، وجلب رضى الله تعالى . يقول في إحدى رسائله التي وجهها إلى بعض نواحي البنجاب :

الله تعالى . أما إذا كان لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله ، ونشر سنة النبي محمد ﷺ ؛ فهو مايسمى في مصطلح الشريعة باسم « الجهاد » ، وهو أفضل من جميع العبادات وأكملها ، ولا تعادله عبادة في رفع الدرجات ، وتكفير السيئات كما تشير إليه الآية الكريمة « فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه ومغفرة ورحمة » ولذلك فيجب أن تؤدى هذه الفريضة بما يتفق وقانون الشريعة الغراء ، كي تكون وسيلة للنجاة في الآخرة ومبعث الرحمة الإلهية والنصرة السماوية في الدنيا » .

وهذه رسالة أخرى وجهها إلى علماء الهند وشيوخها وأمرائها ، يوضح فيها وجهة نظره إلى الجهاد والغاية التي يهدف إليها في القتال مع أعداء الله ، يقول :

« لقد وفق الله تعالى هذا العاجز سابقاً لأن يدعو

شكراً عظيماً ، وبما أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف لا يكتملان بدون الجهاد والقتال في ساحة الحرب ؛ أمر الله سبحانه إمام الهداة وسيد الدعاة محمداً ﷺ - في الأخير - بقتال الكفار ، فظهر دين الله وشريعته على سائر الأديان والشرائع ، وعلى ذلك ألهمني الله تعالى بأداء هذه العبادة والحصول على هذه السعادة ، بأن عزمت على تحقيق هذه المأثرة ، باذلاً كل شيء من الأنفس والأرواح والأموال والأهل والوطن في سبيل هذا العمل العظيم ، وكل ذلك إرضاءً لله تعالى وإرغاماً للكفار والمشركين ، لا يشوبه شيء من هوى النفس ووساوس الشيطان ، وأصرح من جديد فأقول : **إن الله علام الغيوب شهيد على أن « دافع الجهاد » الذي يعيش في نفسي ويقلقني ليس إلا لوجه الله تعالى وإعلاء**

وجاء ضمن رسالة أخرى :

« لله المنة والفضل أنه هدانا إلى طاعته وألهمنا بإرضائه ، فقد أطبقنا العين والأذن عن غير الله ، وصرفنا العين عن الدنيا وما فيها ، وما حملنا راية الجهاد إلا لابتغاء وجه الله ورضاه ، وقد تخطينا حدود حب العز والجـــاه والمنصب والسيادة والحكم ، وتعدينا هذه الأماني الكاذبة ، إننا لا نريد إلا الله وحده ، ولو كنا عاجزين ضعفاء ولكننا نحب الله تعالى حباً لا يساويه شيء ، ونستغني عن كل حب لا يتصل بالله ، إننا لا نريد حرب الولاة المسلمين ، وإنما نحارب الكفرة الألداء فقط » .

ويقول في رسالة وهو يتحدث عن غاية جهاده ونيته في ذلك :

عرش السيادة والحكومة .

إن التاج والعرش لايعادلان حبة شعير في عيني ، ولم أفكر قط في مملكة كسرى وقيصر ، وإنما تراودني أمنية واحدة فقط ، وهي أن تعم كلمة الله وحكم الاسلام في كل بقعة من بقاع العالم ، وذلك ما نعبر عنه بشريعة الله ، فلايكون فيها صراع ولا خصام .

وأتمنى على الله أن يتم هذا العمل إما على يدي أو على أي يد أخرى ، أما أنا فسأستخدم كل وسيلة توصلني إلى هذا الغرض » .

ويتحدث عن الوضع الذي كان سائداً في بلاد الهند في ذلك الحين ، ويبدي الألم الذي كان يعيش فيه والحزن الشديد الذي كان يستولي عليه ، فيقول في رسالة وجهها إلى بعض الأعيان :

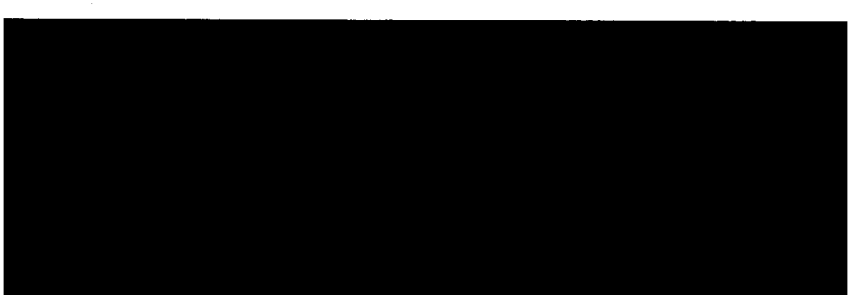

أسلفنا أن الامام السيد أحمد الشهيد كان بحث أتباعه

الاسلام وتعاليمه مغلوبة ، وذلك ما أثار في نفسي قلقاً وحزناً ، وبعث فيها دافع الهجرة وأشعل في قلبي شعلة الجهاد».

إن هذه المقتطفات التي أوردناها وسردنا ذكرها تلقي ضوءاً لامعاً على ما كان يريده السيد أحمد الشهيد وينويه من جهاده الذي أزمع عليه وحمل رايته في طول البلاد وعرضها، ولو تأملنا قليلاً بدا لنا أن حركة الجهاد التي أسسها الامام أحمد كانت النواة الأولى للدولة الاسلامية الصحيحة التي كانت حاجة الأمة الاسلامية في ذلك العصر ولا تزال ، ولو كتب لها النجاح والازدهار ، لكان العالم الاسلامي اليوم من أقصاه إلى أقصاه قوة عظيمة ويداً واحدة ، وكان المسلمون أسرة واحدة قوية لا تقوم في وجهها أعظم قوة ، وأضخم دولة في العالم .

[redacted]

وبعث الشيخ محمد اسماعيل الشهيد ومولانا عبد الحي إلى نواحي الهند ليبلغا الناس دعوة القتال ويبعثاهم على الهجرة والجهاد ، كما جاء في « سوانح أحمدي » سيرة أحمد الشهيد :

« بُعث وفد مؤلف من الشيخ محمد اسماعيل الشهيد ومولانا عبد الحي وغيرهما من العلماء إلى أنحاء البلاد ؛ ليتحدث في الناس حول موضوع الجهاد وفضائل القتال ضد أعداء الله ، وكانت زاوية السيد أحمد الشهيد في ذلك الحين عامرة برجال يعكفون على تعلم الفنون الحربية والمران على الجلاد والطعان والرماية والطراد ، بدلاً من المراقبة والرياضة والمجاهدة، فلم يبق رجل في زاويته إلا وهو جندي يحمل السيف والبندقية والرماح ، عوضاً عن السبحة والعمامة ، فكان من

ولم تنته ...

وسافر إلى « تونك » بدعوة من الامير ميرخان حاكم تلك المقاطعة ، الذي سعد بخدمة الامام أحمد الشهيد وجماعته ، وجهزهم بكثير من الأسلحة والحوائج ، وهكذا أسهم في الجهاد ووفق إلى الجمع بين خيري والدنيا والآخرة .

ولكي نقدر اهتمام السيد أحمد الشهيد بالقتال في سبيل الله ، وحماسه المنقطع النظير في الجهاد ، ونقدر صبر المجاهدين ، واحتمالهم الشدائد والمكاره ، وحنينهم إلى لقاء العدو والشهادة يجب أن ننظر إلى خريطة الهند والبنجاب وأفغانستان ، ونتصور تلك الصحارى القاحلة والجبال الوعرة والرمال الواسعة ، والممرات المخيفة ، والغابات المرعبة ، والأنهار العريضة التي اجتازها هؤلاء المجاهدون وصادفوها في سفرهم ، ومما لاشك فيه أن مواصلة السفر وحدها في هذه العقبات إنما كانت جهاداً بنفسه .

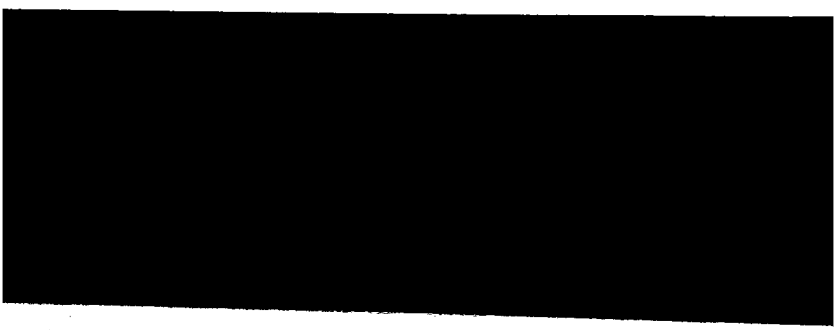

والمحن زادتهم رغبة إلى الجهاد، وشوقاً إلى القتال، وحنيناً إلى الشهادة، وذلك إن دل على شيء فيدل على إخلاص القائد، وصدق نيته.

مرت قافلة المجاهدين في طريقها إلى مركز القتال (بيشاور) بمدن كثيرة تقيم وترحل وتدعو الناس إلى الجهاد، وقد كان من تأثير هذا القائد الجليل وروحه القدسية أن أقبل عليه الناس واحتشدوا له في كل مكان نزل فيه وأقام لعدة أيام، وعرضوا أموالهم وأرواحهم على السيد أحمد الشهيد فقبلهم غزاة في سبيل الله، وجنوداً في المعركة.

[وأول مدينة نزل فيها الامام أحمد مع جماعته المجاهدين بعد خروجه من «تونك» كانت «حيدر آباد سنده»] وقد

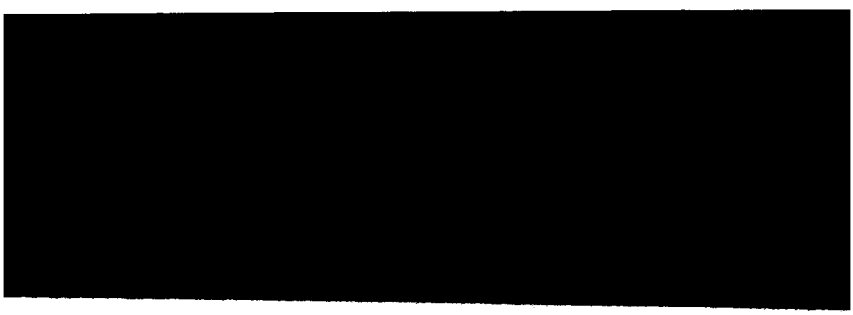

يستطيع أن يقود الأمة الاسلامية خير قيادة، ويقدر على

والتقى ، ونالوا حياة جديدة من الإيمان والحنان ، وبايعوه على الجهاد والقتال والتفاني في سبيل الله .

[ومر السيد أحمد الشهيد بمدينة « شكار بور » وأقام فيها خارج المدينة ، فزاره جمع كبير من العلماء وأصحاب الشرف والصلاح] وقد قامت الحكومة بتسديد نفقات القافلة مدة إقامتها في شكار بور ، ومنها توجه السيد والجماعة إلى كابل ، فمروا على مدن عديدة حتى وصلوا إلى « قندهار »

[ومنها إلى « غزنى » ثم إلى « كابل »] وقد نال السيد في جميع المدن والقرى التي مر بها أو نزل فيها من الحفاوة والقبول مالم يعرفه التاريخ إلا قليلاً جداً] ، تلقاه العلماء والأمراء والولاة ، والجمهور من الناس في كل مكان بحفاوة بالغة ، واعتبروه إماماً يجب أن يقتدى به ، وقائداً

استشهد منهم ٣٧ رجلاً وجرح ٣٥ ، وأسفرت الحرب

بالرحيل إلى « بشاور » وتهافت عليه الناس وبايعوه على الجهاد ، ثم وصل إلى « نوشهره » حيث أقام برهة من الزمان يتفقد الأحوال ، ويستعرض وضع الحكومة والشعب ، إلى أن بعث رسالة إلى حكومة البنجاب يدعوها إلى الاسلام ، أو الجزية أو القتال ـ شأن الحاكم الاسلامي والقائد المسلم ـ ولكن الحكومة أبت إلا القتال وجهزت جيشاً كثيفاً في ساحة « أكوره » التي تبعد عن « نوشهره » بنحو عشرين كيلو متراً .

وجهز السيد أحمد الجيش الاسلامي ونظمه للقتال وشن الغارة على العدو في السحَر ، والتحم الفريقان وكانت معركة حاسمة سقط فيها العدو ما بين قتيل وجريح ، وقد بلغ عدد القتلى سبع مائة والجرحى كذلك ، أما المسلمون فقد

« السيخ » وأبلى فيها بلاءً حسناً نجح في فتح بشاور ،

الأمير . وأعلن السيد فور مبايعته بالامامة بوجوب طاعة الأمير والعمل بتعاليم الاسلام وأحكام الشرع ، والقيام بما يعود على الناس من امتثال الأمر والامتناع عن المعارضة والتظاهر بما لاتسوغه الشريعة ، ولايسمح به نظام الجيش ، « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » .

وقد أعقب نظام الامامة خيراً كثيراً ، وأنتج بركات ، إذسبب تنفيذ النظام الشرعي بحذافيره ، وقضاء المحاكمات والخلافات بسرعة ، وخضع الناس كلهم أمام هذا النظام حتى لم يبق بينهم خلاف ولاخصام .

(وبعدأن خاض الجيش الاسلامي معارك عديدة ضد

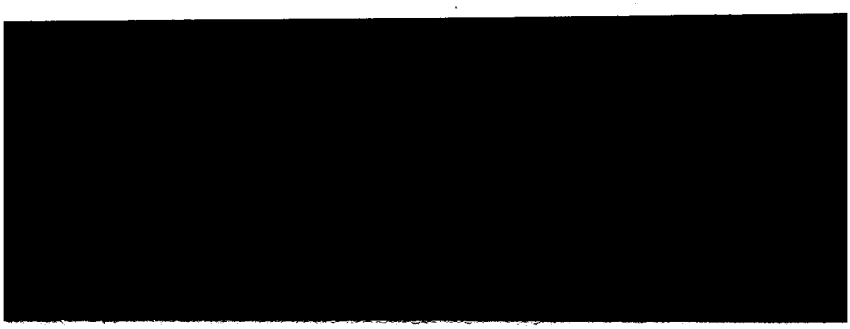

حمل راية الاسلام فخاض المعارك وهزم الأحزاب ، وفتح البلاد ، وبيض وجوه المسلمين .

وما إن دخل السيد البلد حتى نادى في الناس بالأمن ، وآذن في المجاهدين أن لا يأخذوا شيئاً بغير حق ، ولا يقوموا بالتعدي والسطوة على أهل البلد ، حتى إذا استتب الأمن ورجع كل شيء إلى نصابه ، وساد الجو هدوء ، والقلوب طمأنينة ، وعادت المومسات والبغايا إلى بيوتهن مختفيات ، وأقفرت حوانيت الخمر والمسكرات ، نفذ القانون الاسلامي وأقيمت حدود الشريعة ، وفرضت العقوبات على المجرمين ، وتاركي الصلاة وقامت دولة إسلامية خالصة ، كانت للاسلام فيها الكلمة النافذة ، وللسيد الحكم والإدارة .

بهذه النعمة والكرامة التي أولاها الله إياهم ، ولكن أهل

وقد أعد لتحقيقها عدة لم يمكن أكثر منها في ذلك الزمان ، وأخيراً نزل في ساحة الجهاد والكفاح العملي ، فلما انتصر على رقعة من الأرض وغلب عليها وفتحها لم يسعه إلا أن يؤسس فيها حكم الله ، وينفذ قانونه ، ويقيم حدوده ، ولا ينتظر لذلك فرصة أو مناسبة ، بل ويستعجل فيه ويسرع تمام الاسراع لكي لايحول دون ذلك شيء ، ولا يصيب العزائم خور ، والعدو بالمرصاد ، وعيون السخط تترقب الهزيمة والانهيار .

وما إن حل السيد وجماعته « بشاور » منتصرين فاتحين حتى أنفذوا فيها نظام الاسلام المالي والعدلي ، وفرحوا بذلك وشكروا الله تعالى على ماوفقهم إلى تحقيق هذا الأمر ، وعاش السيد وجماعته في فرح مستمر وسرور متواصل يغتبط

أحمد الشهيد وجماعته وإحداث العراقيل في طريقهم هو نفاق

فيها الشعائر الدينية ، فاحتملوا ذلك برهة من الزمان ، ثم ثاروا عليه أشد ثورة ، وقتلوا رجال السيد وفتكوا بهم ، وكم منهم من قتلوا وهم ركع سجد أثناء تأدية فريضة الصلاة .

وبلغ السيد نبأ الثورة ضده فمادت به الأرض ، وبلغ به الأسف والحزن مبلغاً لايكاد يصبر عليه ، وأصاب الجماعة من فجيعة الهزيمة وألم الغدر ما ثبط همهم وكسر شوكتهم ، وقرر السيد الانتقال إلى مركز آخر ، يستأنف فيه سير الكفاح ويبدأ الجهاد من جديد ، عسى أن ينتصر دين الله في أرض سيطر عليها سباع الانس وذئاب البشر .

ومن جملة ما حمل أهل بشاور على الثورة ضد السيد

في سبيل إقامته مقداراً صالحاً من الأموال والأرواح ، وتحمل

والميول الفاسدة السائدة على المجتمع في ذلك العصر . فكان هؤلاء العلماء يقولون :

هذه الجماعة (جماعة المجاهدين) لاترى حرمة لأموال المسلمين وأرواحهم فتصيبهم بضربات قاتلة وخسائر فادحة . وكان منهم من يعدّ المجاهدين بغاة ثائرين على الدين والشريعة ، ويسمي المحاربين لهم شهداء في سبيل الله .

هذا ، وقد أذاعوا في الجمهور عن شخصية السيد أحمد أقاويل وظنوناً فقالوا : إنه فظ غليظ ، سرعان ما يغضب ويثور ، وكلما وجه إليه أحد نصيحة أو كلاماً معقولاً يسخط عليه ويتربص به الدوائر . فلما رأى السيد أن هذه الجماعة من العلماء تحول دون عمله ، وتريد أن تهدم البناء الذي بذل

ضعف ، ويمكن أن يرتكب أخطاء بمقتضى الفطرة ، فاذا

في ذلك الحين وبين افكاره وآرائه ، نقتطف منها مايلي :

« بلغنا أن هؤلاء المفترين ينسبون إلينا الإلحاد والزندقة ، ويقولون إن هذه الجماعة لانمت إلى دين وعقيدة ، وإنما تتبع هواها وتبحث عن مرتع خصب لمتعة النفس وملذاتها ، سواء اتفق ذلك مع كتاب الله أم لم يتفق ، وأعوذ بالله من ذلك ، فاعلموا أن نسبتنا نحن الفقراء إلى هذا الأمر الشنيع بهتان عظيم ، فليس هذا العاجز وأسرته من الخاملين في هذه البلاد ، فإن آلافاً من الناس خاصة وعامة يعرفون هذا العاجز وأسلافه ، كما يعرفون جيداً أننا نتبع المذهب الحنفي كابراً عن كابر ، ولا نزال نتبع هذا المذهب في جميع أعمالنا وأقوالنا دون أن نتجاوزه في قليل أو كثير ، غير أن الانسان مفطور على النسيان والخطأ ، وإنني لا أنكر

[redacted]

« سبحانك هذا بهتان عظيم » فلم يضرب هذا العاجز أحداً

هم طريق في العلم يخالف طريق غير المحققين ، فإن ترجيح رواية على رواية نظراً إلى قوة الدليل ، وتوجيه العبارات المنقولة عن السلف والتوفيق بين المسائل المدونة المختلفة، إلى غير ذلك مما ثبت عن أهل التحقيق من العلماء ، لا يجعلهم خارجين عن الدين ، وإنما هم لباب أتباع ذلك المذهب ، أما من يشك في هذا الأمر فليحدثني وجهاً لوجه ، ويقوم بحل هذه المشكلة فيفهم ويفهمني».

ويرد على مانسب إليه من هتك حرمة المسلمين وإصابة أموالهم وأرواحهم بالنهب والقتل يقول :

« ويرمي المفترون هذا العاجز بالظلم وهتك الحرمات ، ويقولون إنني ألعب بأعراض المسلمين وأموالهم بدون سبب شرعي ، وأستخدم في هذا السبيل سلاقة اللسان وتدبير الحيلة

« مركز اللوم والتأنيب عليه ، ويخذلونني وأصحابي في هما

وتأنيب المنافقين فأعده أعظم سعادة وآية قبول أعمالي عند الله .
ومن الحقيقة أن الغَيرة في نصرة الدين الحنيف ، والشوق إلى إهانة المعاندين وذلهم من لوازم الإيمان ، ومن تجرد عن غَيرة الإيمان ، وحمية الدين فلا شك أنه حرم الإيمان ، يقول الله سبحانه وتعالى : « يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم » وقال تعالى : (يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم) .

وأعود فأقول : إن كان هناك تقصير وقع مني نحو الدين ولا أدريه فيجب أن ينبهني عليه هؤلاء الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، دون أن يغتابوني في مجالسهم ويجعلوني هدف الطعن

وأسأل علماء الوقت الحاضر أن يقوموا بواجب الأمر بالمعروف ـ للناس عامة ولهذا العاجز خاصة ـ والنهي عن المنكر ، ويدعونا إلى الطريق المستقيم ، وكل مشكلة أو اعتراض يخطر ببالهم أو يتلجلج في صدورهم يجب أن يشافهوني به ويقيموا عليه الدليل الشرعي ، ليتمكن هـذا الفقير من إصلاحه والانتقال من عبادة النفس إلى عبادة الله وحده ، وهو مستعد للتوبة من كل ما يخالف أمـر الله ورسوله في قوله وعمله ، ويثوب إلى الطريق الصحيح ، ولكن الذين يثيرون الخلاف وينالونني بالاعتراض إذا لم ينبهوني على ما أقترفه من ذنب ، ولم يحدثوني في هذا الموضوع فسوف يعود وبال ذلك عليهم وهم مسؤولون عنه ، وأما قول المفسدين والكاذبين من أن هذا العاجز إذا أصابه أحد العلماء وفضلائهم بنصيحة

صده ، بل واحترسنا من ان يصيبهم اذى فخلينا لهم سبيل العافية والسلامة .

فإذا كان هذا الشأن مع الجواسيس والعيون فكيف يزعم أحد أننا نغضب أو نثور على العلماء الذين يأمروننا بالمعروف وينهوننا عن المنكر ، وهل من المعقول أن نغمض العين عن المنافقين وعيونهم ثم نصيب العلماء بالغضب والثورة والأذى ، إن هذا لما لايسيغه الخلق الإيماني ولاتسمح به المروءة والكرامة » .

وحاول السيد بعد ذلك أن يتخذ له مركزاً آخر ، وينتقل من البنجاب إلى كشمير التي اختارها لعدة أسباب ، وجهز لذلك العدة والعتاد ، وجمع دعاة الناس فاعترف بخدماتهم وشكر لهم ثم أخبرهم بقصده ووجه إليهم كلمات

وسمح لهم السيد بالمرافقة بعدة شروط ، وآذن بالرحيل في شهر رجب سنة ١٢٤٦ فكان منظراً يبعث الحزن ويثير الشجى في النفوس ، وما إن غادر السيد البنجاب حتى فارقها الأمن على الأرواح والأموال ، وهاجم « السيخ » أهل البنجاب وشنوا عليهم الغارة بما لم يكن لهم به عهد من قبل ، ففتكوا وقتلوا وأحرقوا البيوت والمنازل وهتكوا الحرمات والأعراض .

[ووصل السيد إلى « بالا كوت » مغادراً « بشاور » بعد ما صادف في الطريق اشتباكات مع « السيخ » وكتب الله أن يدفن هذا الكنز الثمين وجوهرة تاج المسلمين وواسطة عقدهم في أرض بالا كوت .]

وفيما يلي نبذة من رسالة للسيد أحمد الشهيد التي بعث

صدور المسلمين ، يقول :

« وبما أن أهل « سمة » كانوا أشقياء لم يرافقوا المجاهدين في جهادهم ولم يوافقوهم على مبدئهم ، بل وبلغ بهم الشقاء والسفاهة إلى أن اغتالوا بعض رجال المجاهدين الذين خرجوا من الجيش إلى القرية لقضاء بعض مآربهم وحوائجهم ، ولو أن الجيش كان مستعداً للقتال وخدمة الدين وكان في حنين شديد نحو الانتقام من المنافقين المتمردين وإذهاب ريحهم .

ولما كان الغرض من الإقامة في « سمة » أن يرافق أهلها المجاهدين ويقاتلوا معهم العدو ، ولكن خاب الظن فيهم ويئست منهم حتى غادرتهم إلى جبال « بكهلي » حيث استقبلنا الناس بأخلاق جميلة ووعدونا بالاسهام في الجهاد ، ثم

اما الطريق الثاني فكان يمر بجسر صغير إلى لاهور ، وأقام

خطر وسوف لا يصلها العدو إن شاء الله إلا إذا اقدم المجاهدون وخرجوا يحاربونهم ، فهنالك يمكن أن يحمى وطيس الحرب . غير أن المجاهدين يريدون معهم الحرب في ظرف يومين أو ثلاثة أيام ، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح علينا أبواب رحمته ونصرته ويرزقنا الانتصار والغلبة . وإذا كان التوفيق الإلهي رائدنا وانتصرنا في المعركة نرجو أن يستولي المجاهدون على أرض كشمير ونهر جهلم ، وأرجو أن لاتنسانا في صالح دعواتك للنجاح في مهام الدين وانتصار المجاهدين ، والسلام ».

وقد حشد « شير سنغ » جيشه ومدافعه من كل جانب في « بالاكوت » وأقام ثكنة على مسافة فرسخين منها ، وكان هناك طريقان يذهبان إلى « بالاكوت » كان واحد منها طريقاً جبلياً وعراً لايعرفه إلا الخاصة من خبراء البلد ،

[redacted]

يداخلهم الخوف ، ولم يواجههم الرعب ، وإنما تحمسوا للقتال

قريباً وكاد ينصرف جيش العدو الى مقره مؤذناً بالانهزام معترفاً بالغلبة والسيادة للمسلمين لولا وقع ما لم يكن يرجى، ولم يكن يخطر على بال ، وكانت مأساة أي مأساة .

جاء رجل ممن كانوا يحرسون الطريق إلى « شير سنغ » وأفضى إليه سر الطريق بغاية من التفصيل ، وجاء برجاله وعرفهم الطريق جيداً ، وذلك ما نفخ في « شير سنغ » ورجاله روحاً جديدة وعزماً جديداً على شن الحرب على المسلمين وقد أعد العدة والعتاد ليلاً إلى ليل وهاجم حراس الطريق . واستولى على الممـــر ، وانتشر جيشه في خبـايا الجبل وطرقه كالجراد .

ورأى المجاهدون المفاجأة المؤلمة ، واطلع السيد على السر ، واستعدوا للجهاد ومساجلة الحرب مع العدو ، ولم

ويقتلون ، واذا بالسيد الامام أحمد الشهيد يختفي عن الأنظار

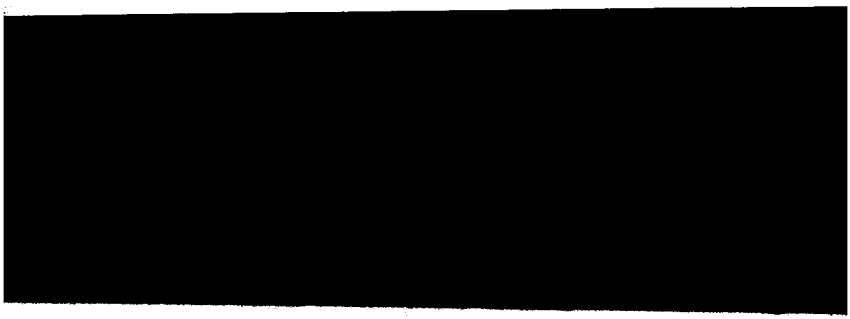

ونزل قواد الجيش ساحة القتـال فنظموا الجيش ، وواجهوا العدو بشجاعة نادرة وبسالة منقطعة النظير ، ومن بينهم الشيخ اسماعيل الشهيد الذي قاتل قتالاً مريراً ، وظهرت منه بطولة خارقة ، وحماسة بالغة وقوة كبيرة ، وأبلى في الحرب أحسن البلاء حتى تحققت أمنيته ، واستشهد هـذا الامام الجليل في سبيل الله ، ونال من خيري الدين والدنيا ما لم ينله كثير ممن قبله ولا بعده ، سلام الله على روحه الطاهرة .

وحمي وطيس المعركة ، واشتد أوارها ، وكانت ساعة حاسمة ، يقاتل فيها المسلمون الكفار فيقتلون ويقتلون ، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهـم الجنة يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون

وانتهت قصة الجهاد واقامة الحكومة

الحرب عن شهادة عدد وجيه من المسلمين ، واستطاع « سير سنغ » أن يبسط حكمه ويقيم عرشه على أرض خضبت بدماء الشهداء الزكية وعمرت بأنفاسهم القدسية .

(وأفل نجم المسلمين بسبب خطأ ارتكبه بعض المنافقين ، وتوقف تاريخ المسلمين الحديث إلى هذا الحد من البطولة والمعجزة التي كاد يصنعها أهل الإيمان ، وأصبح الحكم الشرعي في الهند حلماً من الأحلام لايرجى تحققه إلى قرون وأجيال ، وتأخر التاريخ إلى قرون ، وتخلف ركب المسلمين إلى حيث بدأوا منه سيرهم ، وسعدت أرض بالاكوت باحتضان أكبر بطل وأعظم مجاهد عرفه التاريخ الاسلامي الحديث ، يوم ٢٤ من شهر ذي القعدة سنة ١٢٤٦ هـ .

إنه بالرغم من ذلك كله منح للمسلمين في العالم كله

وتوجه البقية من أصحاب السيد الشهيد وجماعة المجاهدين إلى « استهانه » حيث أسسوا مركزاً عسكرياً وأقاموا دولة على أساس الحكم الاسلامي ، وتبنوا المبدأ الذي مات عليه سلفهم وعضوا عليه بالنواجذ وهم يحنون إلى لقائهم ، وينتظرون اليوم السعيد الذي يتمكنون فيه من زيارتهم عند ربهم « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » .

ولو أن السيد أحمد الشهيد لم ينجح في خطته التي وضعها وجاهد من أجلها ، ولو أنه لم يتمكن من تأسيس دولة إسلامية قوية في هذه البلاد ، واستشهد في سبيل ذلك قبل أن يتحقق حلمه ويكتمل بناؤه الذي أقامه ،

من حاجته بالأمس ، إنه ينتظر حكم التاريخ ، فيمن

وبعدة العلم والعمل حتى يخضع له كل شيء يعوق سيره، ويخشع أمامه العظماء والجبابرة من الولاة والملوك والأقيال .

مضى السيد أحمد ـ سلام الله على روحه الطاهرة ـ إلى رحمة الله وهـو بعيد عن وطنه ، غريب في ديار الكفر والشرك ، وقد مر على شهادته قرن ونحو أربعين سنة ، ولكن مثال البطولة والتفاني الرائع الذي خلده في التاريخ الاسلامي لايزال يحرك النفوس ويشعل الهمم ، ويحث الحداة .

إن العالم الاسلامي كله ينتظر رجلاً يقوم بما قام به السيد أحمد الشهيد . إن حاجة العالم الاسلامي اليوم إلى روح أحمد الشهيد وإيمانه وبطولته أشد وأعظم

• • •

(١) استفدنا في تأليف هذه الرسالة من كتاب « سيرة السيد أحمد الشهيد » بالأردية لأستاذنا الكبير السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وهو المصدر الوحيد الذي اعتمدنا عليه .

سعيد الأعظمي